﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾

[الأعلى: 18 - 19]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

لا اختلاف بَيْنَ شرائعِ المُرسَلين في الأهداف والغاياتِ

بعد أن ذكرت الآياتُ السّابقة أنَّ الوحي سيَتتابَع نزولُه على رسول الله ﷺ، وأنَّه سيثبُتُ في ذاكرته بمجرَّد قراءته عليه، فلن ينسى شيئًا منه؛ ليُذَكِّر به النّاس، الذين يَنْقَسِمون حيال تَذْكِرَته قِسْمَيْنِ: مُفلحون يَقْبَلونها ويَسْتَفيدون منها، وأشقياء يتَجَنَّبونها؛ لإيثارِهِم الدُّنيا على الآخرة، مع أنَّ الآخرة خيرٌ وأبقى؛ ناسَبَ أن تُختم السّورةُ الكريمة ببَيان أنَّ ما يُذكِّر به النَّبيُّ ﷺ مِنَ الوحي بعامَّة، وممّا ورد في هذه السّورة بخاصَّة مُثبَتٌ في صُحُفِ الأنبياء والمُرْسَلين السّابقين، ومُثْبَتٌ كذلك في صُحُفِ إبراهيمَ وموسى عليهما السلام، ما يعني: أنَّه لا اختلافَ بَيْنَ شرائع الرُّسل والأنبياء في الأهداف والغاياتِ.

ما نـزَلَ على رسول الله ﷺ ليس بدْعًا مِن الرُّسل

ومِن وجوه المُناسبة أيضًا أنَّهُ لمّا كانت هذه النَّتيجةُ - التي هي الفلاح بالتَّزكية وما تَبِعَها - خُلاصةَ الكُتُبِ المُنْزَلَة التي بها تدبير البقاء الأوَّل؛ وصَفَها ترغيبًا فيها بوَصْفٍ جَمَعَ القِدَم المُستلزم للصِّحّة بتوارد الأفكار على تعاقُب الأعصار؛ لأنَّ ما مضت عليه السِّنون، ومرَّت على قبوله الدُّهور؛ تكونُ النَّفس أقبلَ للإذعان له، وأدعى إلى التزامه، وأفاد مع القِدَم أنَّ المُنْزَلَ عليه ﷺ ليس بدْعًا مِن الرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام، بل هو على مِنْهاجِهِم، فردُّ رسالتهِ مِن بَيْنِهِم لا يقول به مُنْصِف، لا سيَّما وقد زاد عليهم في المُعجزات، وسائر الكراماتِ[1].

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 406، 407.

❁ شَرْحُ المُفرداتِ:

1) ﴿ٱلصُّحُفِ﴾: (صحف) أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلى انْبِساطٍ في شَيْءٍ وسَعَةٍ، ومِنَ البابِ: الصَّحيفَةُ، وهيَ الَّتي يُكْتَبُ فيها، والجَمْعُ: صَحائِفُ، وصُحُفٌ، قال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ [البينة: 2 - 3]، أُريد بها القرآن، وجَعْلُهُ صُحُفًا فيها كتُب من أجل تضمُّنه زيادةً مِمّا في كتُبِ اللّه تَعالى المتقدِّمة، وقوله تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ يعني: الكتُب المنزلةَ عليهما[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ما جاءَ في السّورة الكريمةِ كائنٌ ومثبتٌ في صُحُفِ إبراهيمَ وموسى عليهما السلام

في هاتين الآيتين يبيِّن اللّه تعالى أنَّ الذي ذكرتْه السّورةُ الكريمةُ مِن فلاح مَن تزكّى، ومِن إيثار المُشركين الدُّنيا على الآخرة، كائنٌ وثابتٌ ومذكورٌ في الصُّحف الأولى، وهي صحفِ إبراهيمَ وموسى عليهما السلام، التي أنزلها اللّه تعالى على هَذَيْنِ الرَّسولين الكريمَيْن؛ ليُعلِّما النّاسَ ما اشتملت عليها مِن آدابٍ وأحكامٍ ومواعِظَ[2]، شأنُهما في ذلك شأنُ رسول اللّه ﷺ، الذي أمره ربُّه بالموعظةِ والذِّكرى.

❁ الإيضاحُ اللّغويّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الاسْتِئْنافِ في الآيةِ:

حَثُّ العِباد على القَبول والامْتِثالِ

جُملة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ مُستأنفةٌ اسْتِئْنافًا ابتدائيًّا؛ لبيانِ أنَّ ما جاء في السّورة الكريمة مُثبَتٌ في صُحُفِ أنبياءِ اللّه تَعالى السّابقين، ومُثْبَتٌ كذلك في صُحُفِ إبراهيم وموسى عليهما السلام، تعظيمًا له، وتفخيمًا لشأنه، وحثًّا للنّاس على قَبولِهِ وأخْذِه؛ إذِ الإخْبارُ بذلك مِمّا يُحفِّز النّاسَ، ويثيرهُم إلى القَبولِ والامتثالِ.

إنكار المُخاطبين وتكذيبُهم مَدْعاةٌ إلى الإبلاغ في تأكيدِ ما يُساقُ لَهُم

وجْهُ تَتابُعِ المؤكّدات في الجُمْلَة:

جاء قولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ مُؤكَّدا بـ: إنَّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (صحف)، والفيروزآبادي، بصائر ذوي التَّمييز: 3/ 388.
(2) طنطاوي، التَّفسير الوسيط: 15/ 368، 369.

والجملةِ الاسْميَّة واللّام المُزَحْلَقَة إلى الجارِّ والمجرور؛ للمُبالغَةِ في تأكيدِ الخبر؛ لكونهِ مَسوقًا للكُفّار المُكَذّبين المُنْكِرين، الذين كانوا على عِلْمٍ برِسالَتَيْ إبراهيمَ وموسى ﷺ[1].

دلالة التَّعبير باسْمِ الإشارَة:

﴿هَٰذَا﴾ اسمُ إشارة، يجوزُ أن يكون إشارةً إلى ما ورد في السّورة الكريمة من أوَّل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾، ويجوزُ أن يكون إشارةً إلى ما في السّورة كلِّها[2]، وأوثِرَ التَّعبير عن ذلك باسْمِ الإشارة لتَعْظيم المُشار إليه وتفخيمِه، والمعنى: هذا الوعظُ العظيمُ بالتَّسبيح الذي ذُكر في هذه السّورة، وما تأثَّر عنه من التَّزكية بالذِّكر الموجِب للصَّلاة، والإعراض عن الدُّنيا والإقبال على الآخرة؛ لأنَّه جامعٌ لِكُلِّ خير، هو ثابتٌ في كُلِّ شريعة؛ لأنَّه المقصود بالحُكْم، فهو لا يَقْبَلُ النَّسْخ[3].

ما ذُكِرَ في السّورة ثابتٌ في كُلِّ شريعة؛ لأنَّه جامعٌ لِكُلِّ خير، وهو المقصودُ بالحُكْمِ

نوع (في) ودلالتُها:

(في) في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ حرفُ جرٍّ يُفيد الظَّرفيَّة، التي تعني أنَّ مثل معاني الوحي الموجود في سورة الأعْلى مكتوبةٌ في الصُّحف الأولى، ومثبتةٌ بَيْنَ عباراتِ الوَحْيِ المُدوَّنة فيها[4].

معاني الوحي الموجودة في سورة الأعلى ثابتةٌ في الصُّحف الأولى

دلالةُ تَعْريفِ ﴿ٱلصُّحُفِ﴾، ووجهُ جَمْعِها:

جيءَ بالاسْم المجرور: ﴿ٱلصُّحُفِ﴾ مُعَرَّفًا بـ (أل) التي تُفيد العَهْدَ؛ لأنَّ المُخاطَبين كانوا يَعْرِفونَ الكُتُب التي نَزَلَت على الأنبياء السّابقين؛ أي: أنَّهم يَعْرِفون صُحُفَ إبراهيمَ وزَبورَ داودَ وتوراة موسى وإنجيل عيسى ﷺ، ويعرفون أيضًا كثيرًا من الصُّحف الأخرى، ووجهُ التَّعبير به جَمْعًا: الإشارة إلى أنَّ ما جاء في السّورة

ما جاء في سورة الأعلى ثابتٌ في الصُّحف الأولى على كَثْرتِها

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 407، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 290.
(2) الزَّمخشري، الكشّاف: 4/ 741.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 407.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 147، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 291.

الكريمة ثابتٌ في الصُّحف الأولى على كَثْرَتِها، كما أنَّ أبا الأنبياء إبراهيمَ ﷺ كانت له صُحُفٌ كثيرة، وكليمَ اللَّه موسى ﷺ كانت له صُحُفٌ كثيرة، هي مجموعُ أسفارِ التَّوراة[1].

نوعُ المجاز وبلاغَتُهُ في التَّعبير بـ ﴿ٱلصُّحُفِ﴾:

الأسُس التي جاءت بها كلُّ الشَّرائع لا تقبل التَّغيير أو النَّسخ

التَّعبير بـ ﴿ٱلصُّحُفِ﴾ عن الوحيِ مجازٌ مُرسلٌ علاقته المَحَلِّيَّة؛ إذِ الصُّحف هي مَحَلُّ كتابة الوحي وإثباته، والتَّعبير بها يحمل معنى الوثاقَةِ والحِفْظِ الضَّروريَّين لِمِثْلِ هذه الأسُسِ التي تدعو إليها جميعُ الرِّسالات، كما يَحْمِلُ معنى الاتِّفاق بَيْنَ الشَّرائع على تلك المَبادِئ؛ لأنَّها لا تَقْبَلُ التَّغيير أو النَّسخ.

نُكْتَةُ وصْفِ ﴿ٱلصُّحُفِ﴾ بـ ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾:

الإثارة والتَّشويق إلى معرفةِ الصُّحف على سبيلِ التَّفصيل

المُرادُ بـ ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾: القديمة، التي لها السَّبق في الزَّمان، وليس المُراد: التي لم يَسْبِقْها غيرُها؛ لأنَّ بعضَ الرُّسل قبلَ إبراهيمَ ﷺ قد أُنْزِلَت عليهم صُحُفٌ[2]، وفي وصفِها بالأوَّليَّة تفخيمٌ لها، وتعظيم لشأنها، وتشويقٌ إلى معرفتها على سبيلِ التَّفصيل.

فائدةُ تكرار التَّعبير بـ ﴿صُحُفِ﴾ مُضافًا:

تفخيمُ شأن الموعظةِ بتأكيدِ ثبوتِها في صُحُفِ أعظمِ الأنبياء الأقْدَمين

قوله تعالى: ﴿صُحُفِ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلصُّحُفِ﴾، وقد أوثِرَ تَكْرارُهُ مُضافًا إلى ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، تعظيمًا لقَدْرِ الموعظة، وتفخيمًا لشَأْنِها، بتأكيدِ ثُبوتِها في صُحُفِ أعظَمِ الأنبياء الأقْدَمين[3]، صلواتُ اللَّه تَعالى وسلامه عليهم أجمعينَ.

وجهُ اضْطِفاء صُحُفِ إبراهيمَ وموسى ﷺ بالذِّكر:

ثمّةَ اتِّفاقٌ بَيْنَ أقدم الشَّرائع وآخرها على الأسس والمبادئ الرَّئيسة

آثَرَ النَّظم الكريم الاستدلالَ بصُحُفِ إبراهيم وموسى ﷺ دون

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 291.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 291.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 407، 408.

غيرِهما من الأنبياءِ لكونِ إبراهيمَ ﷺ أبا الأنبياء، وشريعته مِن أقدم الشَّرائع وأسبقها، وعلى غرارها جاءت شريعةُ موسى ﷺ التي تسبق شريعةَ الإسلامِ مُباشرة، ثُمَّ جاءت شريعة الإسلام، تدعو إلى الأسُس والمبادئ التي جاءت فيهما[1].

ويجوزُ أن يكون وجهُ إيثارِ صُحُفِهما: أنَّ الأولى تَشْتَمِل على المواعظ، والأخرى تشتمل على الأحكام، ما يعني أنَّ شريعة رسول الله ﷺ والقرآنَ المُنْزَل عليه جاءَ مُتَّفِقًا مَعَهُما، جامعًا لِما فيهما مِنَ المواعظ والأحكام[2].

القرآنُ الكريم متّفِقٌ مع صحف إبراهيم وموسى ﷺ مِن المَواعِظ والأحكام، وجامِعٌ لِما فيها

ويجوزُ أن يكون مِن أسباب ذلك كونُ العربِ يَعْرِفونَهُما أكثرَ مِن غَيْرِهما، فإبراهيمُ ﷺ هو جدُّ العرب، الذين جاؤوا مِن نَسْلِ ولدِهِ إسماعيلَ ﷺ، وموسى ﷺ هو أكثرُ رسُلِ الله تَعالى شُهرةً عندَهُم بعدَ جَدِّهم إبراهيمَ ﷺ، وشريعته هي السّابقة مُباشرة للشَّريعة التي جاءهم بها رسولُ الله ﷺ.

العربُ يَعْرِفون إبراهيمَ وموسى ﷺ أكثرَ مِن غَيْرِهما

توجيهُ العَطْفِ بالواو:

الواو في قوله: ﴿وَمُوسَىٰ﴾ لعَطْفِ ما بعدها على ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾، وقد أوثِر عَطْفُهُ بالواو للدَّلالة على ثُبوت الموعظة التي جاءت في سورة الأعلى في صحُفِ موسى ﷺ كما ثبتت في صُحُفِ إبراهيم ﷺ، وفي ذلك دليلٌ على أنَّ محمَّدا ﷺ لم يَفْتَرِ القرآنَ، ولم يأتِ به من عند نفسِه، وأنَّ ما فيه مِن مواعظَ وزواجر وأحكام هي وحيٌ أوحاه الله تَعالى إليه، ودليل ذلك ثبوتُ كثيرٍ منه في الصُّحف الأولى.

ما جاء في سورة الأعلى مُثْبَتٌ في صحف موسى كما أُثْبِتَ في صحفِ إبراهيمَ ﷺ

سِرُّ تقديم إبراهيمَ والخَتْمِ بموسى ﷺ:

بدأ النَّظم الكريم بذِكْرِ رسول الله ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ ﷺ: لأنَّه الأسبق

(1) الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 16/ 1536.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 408.

الأصل في ترتيب ذِكْرِ الأنبياء أنْ يُقَدَّم الأسبقُ والأفضل

والأفضل، ولأنَّ صُحُفَه أقربُ إلى الوعظ، وخَتَم بـ (موسَى) عليه السلام؛ لأنَّه الآخِر، ولأنَّ الغالب على صُحُفِه الأحكامُ، والمواعظُ فيها قليلةٌ، منها الزَّواجر البليغة، كاللَّعن لِمَنْ خالَفَ أوامِرَ التَّوراة، التي أعظَمُها البِشارة بمُحَمّد ﷺ، والإخبار بأنَّهم يُخالفونها، كما هو مذكورٌ في أواخرها، وذِكْرُ الرَّسولَيْنِ عليهما السلام جاء جاريًا على الأصل في ترتيبِ الوُجودِ والأفضَليَّة[1].

مُناسبَةُ خِتام السّورة لمَطْلَعِها:

تنزيه الرَّبِّ ﷻ، وتنزيه النَّفس مقصدُ سورة الأعلى

خُتمت سورةُ الأعلى بالحَثِّ على التَّزكّي، والتَّطهُّر من الأدناس، الذي يعني: التَّنزُّه والتَّخلُّق بالأخلاق السماوية بحسب الطّاقة، وكان في إتيانه والتَّذكير به إعلامٌ بأنَّ الله تعالى لم يُهْمِل الخَلْقَ من البيان بعدَ أن خَلَقَهم؛ لأنَّه لم يَخْلُقْهُم سُدًى، لأنَّ ذلك مِن العبث الذي هو من أكبَرِ النَّقائص، والله تعالى مُنَزَّهٌ عن جميع شوائبِ النَّقص، ومِن ثَمَّ فقَدْ رجَعَ آخرُها على أوَّلها، وكان تنزيهُ الرَّبِّ ﷻ وتنزيهُ النَّفْسِ أيضًا مَقْصِدُ السّورة الكريمة[2].

❁ الفُروقُ المعجميّة:

الصُّحف والكُتُبُ والقراطيس:

الصُّحف جماعة مِنَ الأوراق، والكتاب قد يكون ورقةً واحِدَةً، والقراطيس أوراقٌ مُتفرِّقة

الصُّحف: لا تكون إلّا جماعةَ أوراقٍ جُمع بعضُها إلى بعضٍ، والكتُب جَمْعُ كِتاب، والكتاب يكونُ ورقةً واحِدَة، ويكون جملَةَ أوراقٍ[3]، أمّا القِرْطاسُ فيُطْلَقُ على الورقة الواحدة، وجمعه: قراطيس؛ وهي: الأوراق المُتفرِّقة المُعَدَّة للكِتابة[4]، ولمّا كان التَّعبير واردًا في سياق تأكيد ثُبوت ما جاء في سورة الأعلى في كُتُبِ الرُّسل الأوَّلين، وفي

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 408.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 408.
(3) العسكري، الفروق اللُّغويّة، ص: 291.
(4) الماتريدي، تأويلات أهل السَّنة: 4/ 167.

الوحي النّازل إليهم؛ كان التَّعبير بمُفردة (الصُّحُفِ) أنسبَ للدَّلالة على ثبوت ما جاء في السّورة الكريمة من حِكَمٍ ومواعظَ وأحكامٍ في صحُفِهم وكتبهم مهما كثُرَت، ولا سيَّما صُحُفِ أبي الأنبياء إبراهيمَ وكليم الله موسى عليهما السلام.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والستون،
سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 67 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-69-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 67 : المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-69-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4934554 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"